مجلة وعي للعلوم الإنسانية
Waai Journal for Hummanities
ISSN: 3104-9125
E-ISSN:3104-9117

مجلة وعي للعلوم الإنسانية

العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ٩٤٨-٩٧٠

نحو منهج لتفسير القرآن

للمؤلف: محمد الصادق عرجون (ت ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م)

دراسة تحليلية منهجية

م.م دلسوز أحمد محمد قادر

ديوان الوقف السني-دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية- ثانوية الإحسان الإسلامية

dilsozalgaf2018@gmail.com

الكلمات المفتاحية

مناهج المفسرين، البطاقة التعريفية، الحيادية، الموضوعية.

الملخص

لقد ألمت بهذه الأمة الكثير من الانحرافات الفكرية في مناهج التفسير والمفسرين التي أضرت بها، وهذه الانحرافات أجمع علماء السلف والخلف على بطلانها، وقد أكرم الله أن قيض لهذا الفن أي: علم التفسير فرساناً أرشدوا الأمة إلى ما له أصل عند السلف والخلف، واهتم هذا البحث الموسوم دراسة تحليلية وموضوعية لكتاب: "نحو منهج لتفسير القرآن" لمؤلفه الأستاذ المرحوم محمد الصادق عرجون (ت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨١ م) وتقصي هذا الكتاب القيم، وأكثر كتب مناهج التفسير رواجًا بين عامة الناس وخاصتهم، فهو موضوع يجب على كل مسلم ومسلمة التعرف عليه، وإن دراسة هذا الكتاب تتمثل في قسمين اثنين هما:

أولًا: بطاقة تعريفية يتم خلالها التعريف بالمؤلف.

ثانيًا: تحليل الكتاب من خلال استعراضه شكلًا ومضمونًا.

KEY WORD

Qur'anic Exegesis Methodologies, Research Profile, Neutrality, Objectivity

Abstract

This study examines the intellectual deviations that have appeared in the methodologies of Qur'anic exegesis and their negative impact on understanding the Qur'anic text and its intended meanings.

Scholars of both early and later periods have agreed on the invalidity of such approaches and have emphasized adherence to authentic interpretive principles rooted in the methodology of the early Muslim scholars.

The research focuses on the book "Toward a Methodology for Interpreting the Qur'an" by Muhammad al-Sadiq 'Arjoun (d. 1400 AH / 1981 CE), which is considered one of the prominent contemporary works in the field of Tafsir methodology and has gained wide acceptance among specialists and general readers.

The study adopts a descriptive-analytical method and is divided into two main sections.

The first section presents a brief introduction to the author and his

scholarly contributions. The second section provides an analytical examination of the book in terms of its structure and content, highlighting its key ideas and methodological approach in addressing issues of Qur'anic interpretation.

The study concludes that the book represents a valuable contribution to contemporary Tafsir studies by reinforcing a sound and authentic methodological framework based on established scholarly principles.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام أحسن البشرية سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين وأصحابه الميامين، ومن سار على منهجهم إلى يوم الدين، أما بعد..

فلقد أكرم الله ﷻ هذه الأمة بكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات، وسنته ﷻ في عباده أن الذين صفت قلوبهم يقفون أمام الآيات بإيمان وإذعان، وأما الذين يبتغون الفتنة فإنهم يتأولون ما تشابه منها وينحرفون عن المسار.

وقد سار علماء الأمة الجهابذة على "منهاج التفسير والمفسرين" ليعينوا التالي لكتاب الله ﷻ فهم المراد من الآية هنا وتفسيرها هناك تعبدًا وتعليمًا، ففسروا القرآن الكريم على مناهج السلف والخلف بما يوافق مرامي الكتاب المعجز، من غير تحريف للمنهج المأثور عن أئمة الشريعة الغراء.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تأتي أهمية هذا الموضوع كونه يبحث شخصية وكتاب علم معاصر من أعلام الأزهر الشريف، إذ كان له الأثر الكبير في قراءة الحالة الثقافية المعاصرة في مصر والعالم العربي والإسلامي عند الموافقين أو المعاندين، والباحث يلاحظ أن أسلوب عتاة العلمانية قد تأثروا من حيث يعلمون أو لا بنتاج محمد الصادق عرجون؛ ولهذا السبب أصبحت صياغة أفكارهم تراعي هذا الجو الذي أنشأته كتابات هذا المؤلف(١)، ولعل أهمية هذا البحث تكمن فيما يأتي:

١ – إن مناهج التفسير والمفسرين علم وأمانة شرعية، وأسنادها من الشارع الحكيم حِمل وتركة ثقيلة.

٢ – تسلل روايات واهية في كتب مناهج التفسير والمفسرين، ألقى بالشبهة على من ليس له دراية بهذا الفن الجليل، بحيث لَوَّثَ أفكار بعضهم لاسيما الروايات الواهية في الهدايات القرآنية الكونية التي لا يعلم بمرادها إلا الله ﷻ.

٣ – ضرورة التنبيه إلى الروايات المنحرفة الخطيرة بما يحقق بطلانها.

٤ – بيان مناهج التفسير والمفسرين وتمييزها عما يشوبه من دخيل.

أسئلة البحث

يمكن إجمال أسئلة البحث فيما تأتي:

١ – من هو المؤلف محمد الصادق إبراهيم عرجون؟

٢ – ما هو المنهج العلمي الذي سار عليه المؤلف عرجون؟

٣ – ما هي الجهود التي بذلها المؤلف في سبيل إبراز منهج البحث العلمي في التفسير؟

صعوبات البحث

وقد واجه الباحث وكذا البحث عدة مشكلات يمكن حصرها فيما يأتي:

١ – قلة الكتب والرسائل الأكاديمية التي عنت هذه الدراسة، مع كثر التصانيف والمؤلفات في غيره من مناهج المفسرين.

٢ – التوازن بين كلام المؤلف وغيره من أئمة التفسير من السلف والخلف، مع ترجيح بعضهما على بعض الآخر.

٣ – وجود بعض الآراء عند المؤلف بما يعارض مناهج التفسير والمفسرين قديمًا وحديثًا مما يستدعي التدقيق والتمييز بين الغث والسمين، والسقيم والصحيح.

---

(١) ينظر: https://www.draligomaa.com/index .

الجهود السابقة

ولقد أمعن الباحث النظر في بطون المصادر والمراجع، والرسائل العلمية على مواقع الجامعات العربية والعالمية، والمقالات والمجلات المختلفة؛ بحثًا عن دراسات وجهود سابقة كُتِبَتْ عن منهج هذا المؤلف وتحت هذا التوصيف فوجد كتابات وبوجه عام، وأما الرسائل الجامعية بوجه خاص فقد وجد مَنْ كَتَبَ عنه دون استكماله جميعًا منها:

١ – سعد الغرباوي، محمد الصادق عرجون وجهوده في الدعوة إلى الله، رسالة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر(رسالة غير منشورة)، د.ط، د.ت[١].

٢ – غانم سعيد، محمد الصادق عرجون أديبًا، رسالة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، (رسالة غير منشورة)، د.ط، د.ت[٢].

وأما خطة البحث فتتضمن مقدمة، ومبحثًا تمهيديًا، ومبحثين اثنين، فالتمهيد يبحث الأصول العامة للبحث، والمبحثان يبحثان العنوان الرئيسي للبحث، ويتخلل كلًا منها مطلبان اثنان بفقرات عديدة، ويحرص الباحث على أن يكون منهج البحث كما يأتي:

١ – عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها.

٢ – ترجمة الأعلام أينما ورد ذكرهم أثناء البحث سوى الصحابة رضي الله عنهم .

٣ – اعتماد أقوال أشهر المفسرين عند اختيار مناهجهم مؤيَّدًا بأشهر كتب التفسير، مع مراعاة ذكر الخلاف عند علماء السلف والخلف وترجيح الرأي الراجح، وكان اعتماد الباحث لبضعة كتب تفاسير في التعرض لموضع الدخيل؛ وذلك لتمام الفائدة وللتوسعة في إيراد الأدلة على علاقة التفسير بالدخيل، وتعمد في الاستدلال بتفسير جامع البيان للطبري(ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م)؛ لأنه من أقدم التفاسير ويجمع بين المأثور والرأي، وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)؛ لأنه تفسير يتطرق للمعاني واللغة والأحكام وغيرهما من كتب التفسير.

---

(١) ينظر: https://www.draligomaa.com/index .

(٢) ينظر: المرجع السابق.

المبحث التمهيدي:

يتناول هذا البحث دراسة موضوعية لكتاب في مناهج التفسير والمفسرين وهو: "نحو منهج لتفسير القرآن" للمؤلف محمد الصادق عرجون، ويعمد الباحث إلى دراسة هذا الكتاب ومؤلفه دراسة وصفية في المطلب الأول من هذا البحث؛ وبيان السيرة الذاتية للمؤلف، ومنهجية البحث العلمي للكتاب، واعتماد المنهج التحليلي والموضوعي في المطلب الثاني لهذا الكتاب ومؤلفه، وبيان ما انتقده المؤلف من آراء لبعض مناهج التفسير والمفسرين، ومدى دقة ذلك النقد والتحليل.

وتكمن أهمية الموضوع خطورة إدخال تلك الأيادي المعادية للإسلام، فضلًا عن بعض مناهج التفسير المفسرين من غير قصد الكثير من الأقوال التفسيرية الواهية، ولا ريب أن هذه الأقوال تكمن في بطون أمهات التفسير قديمًا وحديثًا مما أثر سلبًا في نفوس العامة من المسلمين، بل ولا زالت تحكى روايات تفسيرية من قبل بعض الوعاظ والقاصَّة ممن لم ينالوا الحظ الأوفر من شروط وضوابط رواية التفسير؛ الأمر الذي أدى إلى اعتقاد هذه الروايات التفسيرية من قبل الكثير من المسلمين، بل وأصبحت عندهم ثقافة يتبادلونها في مساجدهم وأنديتهم بما يشكل خطرًا على الأجيال المتعاقبة، وإنما دعت الحاجة إلى الكتابة في هذا الموضوع من خلال أمرين:

أحدهما: سلوك هذا البحث ضمن حدود وضوابط منهج البحث العلمي.

والثاني: اختصاص البحث بقسم التفسير والذي يعده الباحث ضمن تخصصه الدقيق.

والجدير بالذكر أن عنوان هذا البحث صواب يحتمل الخطأ أي: ليست بالضرورة أن يكون صوابًا عند بعض القراء، أو أنه خطأ يحتمل الصواب أي: هو صواب عند البعض الآخر لنظرة مسبقة قبل الكتابة أو بعدها؛ لذا جاءت هذه الفرضية لحيادية الباحث من جهة، وموضوعيته تجاه عنوان بحثه.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي في مقدمة بحثه؛ لبيان متطلبات البحث من أهمية الموضوع، والصعوبات التي واجهت الباحث والبحث، والمصادر والمراجع التي استقاه البحث واستخرج منها مادة البحث، والإشارة إلى الدراسات والجهود السابقة، وختم البحث بالخطة المرسومة لتنفيذ مباحث ومطالب وفقرات البحث.

ويأتي هذا المبحث التمهيدي توطئة للبحث؛ لبيان ما يأتي بعده من مطلبي التعريف بالمؤلف وكتابه، وموضوعات الكتاب "الشكل والمضمون"، ومنهج البحث العلمي المتبع في الكتاب، ومن ثم الاختتام بالنتائج والتوصيات.

ولا يسع الباحث في ختام هذه المقدمة وما قدمه من جهد في بحثه إلا أن يكون مصيبًا، فإن أصاب فمن الله ﷻ وفضله وإحسانه، وإن مال عن الصواب فمن نفسه والشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المختصرات:

ت = توفى، تحـــ = التحقيق، د.ط = دون طبعة، د.ت = دون تاريخ، هـــ = هجرية، م = ميلادية، جـــ = جزء

المبحث الأول: المدخل إلى التعريف بالمؤلف، والتعريف بالكتاب

قبل البدء بنقل أي تصور عن مؤلَّف من المؤلفات، لابد من بطاقةٍ تعريفيةٍ بمؤلِّفِه وما يتمتع به من مقومات التأليف والكتابة، والكتاب الذي بين يدي الباحث هو أحد الكتب المؤلفة في الكتابة عن مناهج التفسير والمفسرين، ومؤلفه أحد الكُتاب الذين لهم شأوٌ في هذا المجال؛ إذ له العديد من المؤلفات التي تختص هذا الشأن، وكما سيأتي في هذا البحث الموسوم ومن خلال بطاقته التعريفية.

المطلب الأول: لمحة تعريفية عن المؤلف

يبحث هذا المطلب تعريفًا بالمؤلف اسمًا وشهرة ومكانة علمية ومن خلال هذه الفقرات الآتي:

أولًا: اسمه ونسبه:

هو: محمد الصادق إبراهيم.

ثانيًا: ولادته:

ولد محمد الصادق عرجون في بلدة تسمى "إدفو"[(١)]، فهو من مواليد عام (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م).

ثالثًا: تحصيله العلمي:

تخرج عرجون في جامعة الأزهر الشريف عام (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م)، ونال شهادة التخصص عام (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م)، وعُين مدرسًا بالمعاهد الأزهرية حتى أصبح شيخًا لمعهد دسوق الديني، ثم تدرج شيئًا فشيئًا حتى غدا شيخًا لمعهد أسيوط الديني، ثم شيخًا لمعهد الإسكندرية وعميدًا لعلمائها، ثم عميدًا لكلية اللغة العربية، ثم كلية أصول الدين التي أصبح عميدًا لها عام (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)[(٢)].

وبعد هذه المسيرة الحافلة والتحولات العلمية من المعاهد ثم الجامعات، واشتغاله بالمشيخة العلمية للمعاهد، ثم الدراسة الأكاديمية وعمادة العلماء والكليات الإنسانية، ترك القاهرة ورحل للعمل في الكويت والسودان والجماهيرية الليبية والمدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وفي كل ذلك أنتج محمد الصادق عرجون كتبًا جعلته في مصاف العلماء الكبار والمؤرخين العظام، حيث اهتم بإبراز قادة الفكر الإسلامي عندما رأى البيئة الثقافية قد أدارت النقاش حول مفهوم قادة الفكر بعيدًا عن الدائرة الإسلامية، فمن أقواله التي أثْرَت الفكر الإسلامي: "فلم يشر أحد إلى تتابع الدورة الثقافية شرقًا وغربًا وإلى أن هذه الدورة قد انتهت إلى الفكر الإسلامي فأحدثت أثرها القوي في تاريخ الفكر الإنساني، فقلت في نفسي إن الضرورة

---

(١) إدفو هي مدينة في شمال محافظة أسوان، جنوبي الأقصر بمصر، اكتشف بها جبانات من عصر الدولة القديمة، وبها معبد إدفو الذي شُيّد في العصر البطلمي للمعبود حورس عام ٢٣٧ ق.م.، ينظر:
.https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%AF%D9%81%D9%88

(٢) ينظر: https://www.goodreads.com/author/show/6447192 .

ملزمة بالحديث عن قادة الإسلام وأثرهم في تحرير الفكر الإنساني وإذا كان عظماء الصدر الأول من رجالات الإسلام قد جمعوا بين السياسة والفكر أي أنهم أخضعوا الفكر النظري إلى الميدان العلمي فصدروا في أحكامهم واتجاهاتهم عن شريعة ذات هدف إنساني فإن زعماء هذا العهد قادة فكر بهذا المعنى"[١].

وهذا هو الأسلوب الرصين الذي يراه محمد رجب البيومي[٢] وهو يصف محمد الصادق عرجون قائلًا: "بالأسلوب الرجل، ففي أسلوبه ما في شخصيته من فحولة وشجاعة وقوة، فلقد كان الأستاذ ذا حمية مخلصة وغيرة ملتهبة تلمسها في حديثه كما تراها في بريق عينيه وتوهج ملامحه" [٣].

يلاحظ الباحث من خلال السيرة الذاتية للمؤلف سَعة ثقافته العلمية، وتُرَى تلك المسيرة العلمية من خلال سرعة تسنمه للمشيخة والألقاب العلمية فترة اشتغاله بالمعاهد والجامعات، وخلال تلك الحياة الحافلة بالصدارة لم يألُ جهدًا في تطوير مسيرته العلمية وإنجاز العشرات من الكتب والمؤلفات في مجال تخصصه الدقيق وغير الدقيق كما سيأتي في فقرة مؤلفاته ويمكن بيان خلاصة عن السيرة الذاتية بما يأتي:

١ – اللقب: عرجون.

٢ – التحصيل العلمي: الدكتوراه.

٣ – مجال التخصص: الكتابة في التاريخ والفكر الإسلامي ومناهج التفسير والمفسرين.

٤ – اللغة المستعملة: العربية.

رابعًا– الشخصية العلمية للمؤلف:

وتظهر الشخصية العلمية لمؤلف الكتاب ومجاله العلمي، وخلال متابعة كتبه ومؤلفاته أنه من العلماء الذين لهم باع في العلم والتأليف، حيث اختص المؤلف في مجال كتابة التاريخ والفكر الإسلامي، وكذلك البحث في مناهج التفسير والمفسرين، وجل انتقاداته علمية تحليلية هادفة من غير تجاوز في حق مخالفيه، وهذه مما تسجل كإيجابية في شخصيته العلمية، ويتضح هذا الأمر من خلال مؤلفاته العديدة.

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) البيومي، محمد رجب (ت ١٤٣٢هـ – ٢٠٠١ م)، هو اديب كاتب وشاعر مصري. رئيس تحرير مجلة الأزهر السابق، عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة سابقاً، والأستاذ المتفرغ بقسم الآداب والنقد بجامعة الأزهر، ولد عام ١٩٢٣ في الكفر الجديد التابعة لمدينة المترلة بمحافظة الدقهلية بمصر، نال عالمية الأزهر1949 هـ ، ودبلوم معهد التربية 1950 م، والماجستير1965 م، والدكتوراه في الأدب والنقد .1967 توفي يوم السبت 2 ربيع الأول 1432هـ الموافق 5 فبراير 2011 م وتم دفنه عصراً في قريته الكفر الجديد مركز المترلة محافظة الدقهلية، كتب في مجلة الرسالة الشهيرة منذ عام ١٩٤٨ م، ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٣) ينظر: https://www.draligomaa.com/index .

خامسًا– أهم مؤلفاته في هذا المضمار:

خلف محمد الصادق عرجون العديد من المؤلفات التي اختصت السير والمغازي والتاريخ، وأخرى عنت مجال الفكر الإسلامي المعتدل والجوانب العقدية، ومنها ما تطرقت مناهج التفسير والمفسرين وفيما يأتي جملة كتب المؤلف:

١ – كتاب: "محمد رسول الله منهج ورسالة".

٢ – كتاب: "أبي بكر الصديق".

٣ – كتاب: "عثمان بن عفان".

٤ – كتاب: "علي بن أبي طالب".

٥ – كتاب: "خالد بن الوليد".

٦ – كتاب: في مجلة الأزهر عن "عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مسعود".

٧ – كتاب: القرآن العظيم "هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين".

٨ – كتاب: "نحو منهج لتفسير القرآن".

٩ – كتاب: "سنن الله في مجتمع آمن خلال القرآن".

١٠ – كتاب: "أبو حامد الغزالي المفكر الثائر".

١١ – كتاب: "براءة التفسير والإعجاز العلمي في القرآن".

١٢ – كتاب: "الموسوعة في سماحة الإسلام".

١٣ – كتاب: "سنن الله في المجتمع من خلال القرآن".

١٤ – كتاب: "الحياة الأدبية عند العرب قبل الإسلام".

١٥ – كتاب: "التصوف في الإسلام منابعه وأطواره".

١٦ – كتاب: "حياة رجالات الإسلام ومشاعل من أفكارهم".

١٧ – كتاب: "معجزات الأنبياء بين العقل والعلم".

سادسًا: وفاته:

توفي المؤلف عام (١٤٠٠ هـ – ١٩٨١ م)، ليخلف وراءه إرثًا علميًا زاخرًا في مجال العلوم الإنسانية والمتمثلة بالعلوم الشرعية والأدبية والتربوية المتنوعة.

المطلب الثاني: لمحة تعريفية بالكتاب

يلاحظ من خلال متابعة كتاب "نحو منهج لتفسير القرآن" والفحص الموضوعي والاستقصائي أن هذا الكتاب يتضمن بين طياته ما يأتي:

أولًا– فحوى الكتاب:

١ – واجهة الكتاب: تتضمن أعلاه اسم المؤلف ولقبه العلمي، واسم الكتاب، ودار النشر.

٢ – تسميته: يقع الكتاب تحت عنوان: "نحو منهج لتفسير القرآن".

٣ – سنة التأليف: أُلِّف الكتاب سنة (١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م).

٤ – عدد طبعاته: الطبعة الثالثة.

٥ – عدد صفحاته: ٩٧ من الصفحات (الحجم A4).

ثانيًا– موضوعه: يبحث هذا الكتاب ست فقرات أساسية تتعلق بالتفسير وفلسفته وكما يأتي:

١ – القرآن في مناهج دراستنا الإسلامية.

٢ – الفلسفة الإسلامية.

٣ – الهداية القرآنية.

٤ – في سبيل دراسة متحررة لا متحللة.

٥ – الدستور الموجه.

٦ – ضرورة غربلة كتب التفسير.

ثالثًا– محتوياته: يتضمن هذا الكتاب محتويات تذكر متسلسلًا وكما يأتي:

١ – دار النشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٢ – بلد النشر: المملكة العربية السعودية.

٣ – رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: بلا.

٤ – حقوق الطبع: غير محفوظة.

٥ – محتوى الكتاب: رُتِّب المحتوى على شكل قائمة توزعت على مقدمة وست فقرات رئيسة.

٦ – ابتداء الكتاب: يبتدئ الكتاب بعد الواجهة بالبسملة.

٧ – مقدمة الكتاب: يتألف مقدمة هذا الكتاب من عرض يرى الباحث أن المؤلف قد أسهب كثيرًا في تقديمه بين يدي المتن، فقد بلغت صفحات المقدمة ست صفحات في بيان هذا العرض، وجاء فحوى هذه المقدمة عرض لمنهج التفسير أو مناهجه الموجودة بين أيدي المسلمين، والتي تدرس في المدارس والمعاهد والجامعات، ومنهج العلماء المفسرين الجهابذة ونقولهم بين

المنقول والمعقول[١]، والمؤلف لا يرى – مع ما تم تأصيله من مناهج التفسير منذ عصر النشأة وحتى عصر استكمال أسس هذا الفن– مانعًا من تخليص مناهج التفسير من الرواسب التي عصفت بها لأغراض متعددة المآرب.

٨– منهج المؤلف في الكتاب:

خلال الاطلاع على هذا الكتاب والمنهج الذي تتبعه المؤلف، فإن الباحث يسجل نقاط مهمة تجاهه وكما يأتي:

أ– أن الكتاب يفتقر إلى سلوك منهج البحث العلمي الرصين، من تقسيمه إلى فصول أو مباحث أو حتى مطالب وبالتالي يندرج بعضها تحت بعض؛ كي يكون متسلسلًا أمام قارئه ومقتنيه.

ب– المادة العلمية في هذا الكتاب قد تم توزيعه على مقدمة وفقرات ستة، والكتاب يخلو من تمهيد عند تقديم كل فقرة.

ت– خلو الفقرات الستة من توثيق للآيات والأحاديث والاقتباسات التي استشهد بها المؤلف.

ث– لم يحتو التأليف من خاتمة تتضمن الخلاصة والتوصيات التي يُتَأتى بها نهاية كل مُؤَلَّف علمي رصين.

ج– افتقار الكتاب للهوامش السفلية، والاستشهاد بالمصادر والمراجع القديمة والحديثة فيه.

ح– عدم تنسيق صفحات الكتاب بحيث توجد صفحات فارغة بين فقراته.

خ– ورود بعض الأخطاء النحوية في الكتاب ولعلها من نقل الطباعين أثناء الطباعة.

د– لم يخرج الآيات والأحاديث تخريجًا حسب منهج البحث العلمي الرصين.

ذ– نقل النصوص من غير توثيق وكذا الخلط بين كلامه والنص المقتبس من الكتب؛ مما يحدث الإيهام بين الكلامين.

٩– وصف الكتاب:

أ– يعمد هذا الكتاب إلى مساعدة الكثيرين من المسلمين الحائرين؛ للخروج مما هم فيه من الأقوال الغريبة في بطون مناهج التفسير والمفسرين وبأسلوب سلس بسيط.

ب– براعة المؤلف في فهم القرآن الكريم ومعرفة سنن الله ﷻ في المجتمعات، ودرس أيضًا من خلال القرآن سنن الله ﷻ في الكون عامة، سواء أكانت كونية أم بشرية.

ت– يعتقد المؤلف أن العلم بالسنن الإلهية هو الذي يضع المجتمع الإسلامي في مكان الصدارة بين الأمم، يوم أن كان العلم بأوسع معانيه هو القائد لهذا المجتمع.

(١) ينظر: عرجون، محمد الصادق إبراهيم (ت ١٤٠٠ هـ – ١٩٨١ م)، نحو منهج لتفسير القرآن (١ ج)، د.تحـ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٩٧٩م، ص ٥.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في كتابه

يخضع هذا الكتاب شأنه شأن أي كتاب إلى مقومات المنهج الرصين للبحث العلمي، ولكي يتم تقييمه فلا بد من استعراض وتسليط الأضواء عليه، على إن الباحث يتتبع هذا الشأن ومن خلال الشكل والمضمون؛ بغية الإحاطة به ومن زوايا عديدة أهمها ملاحظة: (الشكل، واستيفاء الموضوع، وحيادية المؤلف، وكونه موضوعيًا في تناوله فقرات مادته)، وعلى هذا الأساس ستتم مناقشة هذه الفقرات في هذا المطلب وبحسب ما يقتضي منهج البحث العلمي وكما يأتي:

المطلب الأول: موضوعات الكتاب "الشكل والمضمون"

يأتي موضوعات هذا الكتاب شأنه شأن أي كتاب مؤلف من حيث الشكل والمضمون على حسب منهج البحث العلمي الرصين، وهذا ما يمكن بيانه من خلال ما يأتي:

أولًا- الشكل:

يعمد المؤلف في تقسيم جهده على الكتاب ومن حيث الشكل: يبتدئ بعد الواجهة الأولى للكتاب – الغلاف– بالدخول في المقدمة مباشرة، ثم قسم جهده على فقرات ستة[١]، وكان كل فقرة تحتوي على جملة من العناوين، دون توثيقه بمباحث أو مطالب على أقل تقدير، وقد أسهب كثيرًا في مقدمة كتابه بذكر خلاصة عن أسباب الكتابة في منهج التفسير، على أن معظم كتب التأليف قد أشار مؤلفوها في المقدمة إلى الأسباب الموجبة لها[٢].

ثانيًا- استيفاء الموضوع:

تأتي محاور هذا الكتاب على شكل فقرات يجمع المؤلف جهده فيها ووزعها في ست فقرات، يجمل الباحث أهم ما ورد فيها من ثمار في هذا المجال:

١ – القرآن في مناهج دراستنا الإسلامية:

يدخل تحت هذه الفقرة أهداف وزعها المؤلف على خمسة، اختصرها غاية الاختصار ووضعها تحت مسمى "القرآن في مناهج دراستنا الإسلامية"(٣)، وضم تحت هذا العنوان خمس فقرات أساسية هي:

أ- مبعث الدراسات الإسلامية.

ب- البحث في جانب العبادات.

ت- جانب البحوث اللغوية.

ث- إقحام حصائل الفكر البشري.

---

(١) عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٥ – ١٠.

(٢) السامرائي، فاروق السامرائي، المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية (١ ج)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط ١، ١٩٩٦م، ص١.

(٣) عرجون، المرجع السابق، ص ١١.

ج- في تفسير جانب العقيدة.(١).

وخلال تتبع هذه الفقرة ذات الأهداف الخمسة المتنوعة المتشعبة، يرى الباحث الإيجاز الشديد للمؤلف بحيث غطى هذه الأهداف بصحيفتين لا تكاد تتسع وهذه الأهداف المتشعبة المرامي، فيمكن اقتباس بعض ما جاء في هذه الفقرة: "لقد كان القرآن الكريم مبعث جميع الدراسات الإسلامية نقلية وعقلية أدبية أو دينية، اجتماعية أو تربوية، لأن هذا الكتاب كان ولا يزال هو النبع الأصيل الذي فاضت وتفيض منه روافد علوم الإسلام ومعارف العربية"(٢).

فقد يستعمل المؤلف أحيانًا مفردات تحسب له لاسيما في مدح أئمة الإسلام وعلماء الأمة كما يصفهم بـــ "غطارفة" الباحثين وذلك بإعطائهم جوانب البحث بالتحليل العميق تارة، وبالإيجاز مرة أخرى(٣).

٢- الفلسفة الإسلامية:

ينتقل المؤلف سريعًا من الفقرة الأولى والتي تخص المنهج المعد في الدراسات الإسلامية؛ ليحاكي الفلسفة الإسلامية عبر القرون التي شهدت الاختلاف والفرقة وما بعدها من تجديد وغلو وتكليف، وضمن المؤلف فقرته بثلاثة محاور هي:

أ- من قرون الفرقة.

ب- تيار التجديد.

ت- إخضاع القرآن للنظريات المهزوزة(٤).

وقد أشبع المؤلف فقرته هذه بما يقارب إحدى عشرة صفحة، على عكس الفقرة الأولى والتي افتقرت إلى تغطية أكثر؛ ولعل المؤلف لم يجد أهمية لإشباع الأهداف السابقة كما أثرى هذه الثلاثة، وأوعز المؤلف ظهور الفلسفة الإسلامية إلى أنها دخيلة عليه ولا أصل لوجودها فيه، وإنما دخلت الفلسفة إلى الدراسات والتاريخ الفكري بفعل الحصائل الفكرية البشرية: "وقد أدى إغراق الهداية القرآنية في خضم الحصائل الفكرية إلى مشكلة فكرية تاريخية يصعب الخلاص منها، تلك هي تحميل الإسلام – ومنبعه الوحيد في العلوم والمعارف هو القرآن العظيم – عبء حصائل الفكر البشري، ذي اللون الغريب كل الغرابة عن مفاهيم الهداية الإسلامية، وجعلها من عمل الإسلام ومعارفه وأفكاره، وقد هلل لها وتعبد لأساطينها الذين أغرموا بها(٥).

ويسجل للمؤلف دقة العبارات التي يستخدم تجاه المتعسفين في بيان الهدايات القرآنية: "والذين حاولوا من أن يتحرروا لم يكن لهم سلاح العلم الصحيح والعقل الرجيح والاعتصام بأصول الإسلام ما يعصمهم عن الوقوع في مزالق التقليد الأهوج

(١) عرجون، المرجع نفسه، ص ١١.
(٢) عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ١٣.
(٣) ينظر: عرجون، المرجع السابق، ص ١٣.
(٤) ينظر: عرجون، المرجع نفسه، ص ١٥.
(٥) ينظر: عرجون، المرجع نفسه، ص ١٧.

لقوم هم أبعد ما يكونون عن الإسلام ومفاهيم هدايته، وهؤلاء بتعبير أصح تحللوا ولو يتحرروا جريًا وراء الشهرة الزائفة وغرور التجديد"[١].

ثم يجد الباحث انتقاد المؤلف أولئك المتعسفين تجاه الهدايات القرآنية لمجرد التجديد وإمامة المجددين، وقد استشه بقوله ﷻ في سورة لقمان: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ...﴾[لقمان: ١٠]، على أن أحد أولئك المجددين يدعون أن القرآن الكريم قد قرر أن الأرض كانت جزء من التركيبة السماوية ثم انفصلت عنها مستشهدين بقوله ﷻ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[الأنبياء: ٣٠][٢]، بيد أن المفسرين ذكروا تفسير هذه الآية منهم الطبري[٣] قوله: "أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رتقا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شده، فهو يرتقه رتقا ورتوقا، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء، ووحد الرتق، وهو من صفة السماء والأرض، وقد جاء بعد قوله (كانتا) لأنه مصدر، مثل قول الزور والصوم والفطر، وقوله (ففتقناهما) يقول: فصدعناهما وفرجناهما"[٤]، على أن المؤلف يدعي عدم تقرير القرآن الكريم للنظرية الانفصالية بين الشمس والقمر.

٣- الهداية القرآنية:

تعد هذه الفقرة بداية للهدف الذي من أجله كتب المؤلف كتابه هذا، فبعد استعراض سريع لمنهجية التفسير والمفسرين في الفقرة الأولى، وبيان للفرق التي ظهرت بعد عصر النشأة والتي ادعت التجديد والإصلاح، ساق المؤلف بعض الهدايات القرآنية الكريمة في تفسير بعض الظواهر الكونية، وكذا ختمت الفقرة بانتقاد بعض دعاة التحريف ممن أطبقوا النظريات العلمية على القرآن الكريم، ويلاحظ أن المؤلف قدم أهدافًا أربعة بين يدي هذه الفقرة وكما يأتي:

أ- في تفسير رتق السماوات والأرض وفتقهما.

ب- الشيخ محمد عبده وتفسير سورة الفيل.

---

(١) ينظر: عرجون، المرجع نفسه، ص ١٩.

(٢) ينظر: عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٢٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، المؤرخ، المفسر، الإمام، العالم، الكامل، الفقيه، المقرئ، النحوي اللغوي، الحافظ، الإخباري، جامع العلوم، لم ير في فنونه مثله، وصنف التصانيف الكبار ومنها: (أخبار الرسل والملوك)، و(جامع البيان في تفسير القرآن)، و(اختلاف الفقهاء) وغيرها، ينظر: القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٨٤م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٤ ج)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م، جـ ٣، ص ٨٩؛ والزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م)، الأعلام (٨ ج)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م، جـ ٦، ص ٦٩.

(٤) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤ ج)، تحـ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠ م، جـ ١٨، ص ٤٣٠.

ت- الشيخ محمد عبده وتفسيره في خلق الملائكة.

ث- المتحمسون لنظريات العلم المستحدثة والتحريف(١).

تتضمن هذه الأهداف تحت طياتها رد تلك الشبهات التي تقول بها العلمانية ودعاة التجديد أن الأرض إنما انفصلت عن المجموعة الشمسية، وما ورد عن كبار المفسرين من الصحابة أمثال عبد الله بن عباس ﷺ ينفي هذه النظرية المزيفة؛ لأن الأمة تلقت التفسير المقبول والذي هو أقرب إلى الفهم والمنطق والعقل وهذا ما قاله ابن عباس ﷺ قائلًا : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ...﴾[الأنبياء:٣٠] الآية، يقول: كانتا ملتصقتين، فرفع السماء ووضع الأرض"(٢)، وأما نظرية الرتق -الانفصال – التي قال بها دعة التجديد فهي بعيدة النجعة أمام هذه النصوص: "وتفسير آية رتق السماوات والأرض بنظرية الانفصال الشمسي التي قال بها العلم المستحدث بعيد عن مقاصد الهداية القرآنية لا يفهمه من أسلوب البيان القرآني إلا من قصده متأولًا، والقرآن لم يترل بهدايته لهؤلاء العلمانيين وحدهم، وإنما نزل لهداية كافة البشرية على مستويات عقولهم وثقافاتهم"(٣).

ثم ينتقد المؤلف أحد المجددين في القرن الثامن عشر الهجري وهو محمد عبده(٤) بأسلوب علمي حيادي ومن غير تجريح أو انتقاص، وهذا مما شخص في أسلوبه قائلًا: "ولقد كان الإمام محمد عبده وهو الشعلة المضيئة في إنارة الطريق لتجديد تفسير القرآن والعودة به إلى بيان الهداية القرآني حذرًا في لباقة عندما عرض لمثل هذا التأويل العلمي في بعض آيات القرآن"(٥).

ويضرب المؤلف في هذا السياق مثالًا للتأويل العلمي الذي اتخذه محمد عبده بتأويله سورة الفيل، تأويلًا علميًا بعيدًا عن منهج السلف في فهم السورة الكريمة، حيث يجد الباحث دقة المؤلف تشخيص ونقد المنهج الذي عليها هذه المدرسة التجديدية: "فنراه في تفسير (الفيل) يجعل معنى آياتها في عبارة موجزة تصور ما في السورة من هداية وعظة ثم يقول وكان

---

(١) ينظر: عرجون، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٢) الطبري، المصدر السابق، جـ ١٨، ص ٤٣١.

(٣) عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٣١.

(٤) محمد عبده حسن (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م)، ولد في حصة شبشير، طنطا، ونشأ في محلة مصر في شبرا خيت في محافظة البحيرة، فقيه مصري، من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، و من كبار الدعاة للتجديد والاصلاح والتنوير، اشترك في الثورة العرابية، وفي سنة ١٨٦٥م دخل الأزهر وأخذ الشهادة العالمية سنة ١٨٧٧م، واشتغل مدرسًا في الأزهر ودار العلوم والألسن، وكتب مقالات في الجرائد، وتأثر محمد عبده بأفكار الشيخ حسن الطويل الذي وجهه للعلوم العصرية وتأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني، ومن مؤلفاته: "رسالة التوحيد"، و"الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية"، ينظر: https://arz.wikipedia.org/wiki.

(٥) عرجون، المرجع السابق، ص ٣٢.

يمكننا أن نكتفي بذلك المعنى من الآيات، ولا نزيد عليه أدنى تفصيل، وهو كاف في الاعتبار والعظة، وليته فعل وسكت عن هذا، ولكنه تابع الكلام، وذكر أنه تواتر من الواقعة"(١).

مما تقدم من كلام المؤلف يستشف الباحث أن ثمة تكلف حاصل في تأويل محمد عبده لسورة الفيل، وهذا التكلف يبعد الدلالة القرآنية الكريمة من بين المفردات التي نقل بالتواتر إلى الأمة جيلًا بعد آخر، وهذا ما يجده الباحث خلال النقد: "... إلى أن قال وفي اليوم الثاني أي لخروج أهل مكة فزعين إلى شعف الجبال بعد ما بلغهم خبر جيش الفيل، فشا في جند الحبش داء الجدري والحصبة وذكر قولًا عن عكرمة أنه هو أول جدري ظهر ببلاد العرب، ثم ذكر قول يعقوب بن عتبة أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام"(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن أئمة التفسير قد ذكروا ما استشهد به محمد عبده نحو: الطبري والزمخشري(٣) والقرطبي(٤) في تفسيرهم حيث قال الطبري: "حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن عكرمة، قال: كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجدري، قال: كان أول يوم رؤى فيه الجدري؛ قال: لم ير قبل ذلك اليوم، ولا بعده"(٥)، ومع هذا فإن المؤلف قد يرى ضعف ما ذهب إليه محمد عبده بقوله: "وحديث الجدري والحصبة في هذا المقام حديث مقحم متهافت ما كان ينبغي أن يعول عليه مثل الشيخ –على جلالة قدره – في تفسيره القرآن الكريم في سورة يبدؤها الله بصيغة التعجيب لصنعه بما أنزله بهؤلاء الطغاة الجبابرة تقدمة لمبعث نبيه صلى الله عليه وسلم"(٦).

---

(١) عرجون، المرجع نفسه، ص ٣٢.

(٢) عرجون، المرجع نفسه ص ٣٢.

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، العلامة، كبير المعتزلة، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، أشهر كتبه: "الكشاف في تفسير القرآن"، وأساس البلاغة"، والمفصل"، وكان معتزلي المذهب مجاهرًا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف، ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء (٢٥ ج)، تحـ : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ ، ١٩٨٥م، جـ ٢٠، ص ١٥١؛ والزركلي، الأعلام، جـ ٧، ص ١٧٨.

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)، الإمام، العلامة، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط بمصر) وتوفي فيها، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووُفُور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الرُّكْبان وهو كامل في معناه، وله كتاب "الجامع لأحكام القرآن"، و "الأسْنَى في الأسماء الحسنى"، و"التذكرة"، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه، ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٥ ج)، تحـ: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م، جـ ١٥، ص ٢٢٩؛ والزركلي، الأعلام، جـ ٥، ص ٣٢٢.

(٥) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ٢٤، ص ٦٠٨؛ والزمخشري، محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ جـ ٤، ص ٧٩٩؛ والقرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠ ج)، تحـ: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤ م، جـ ٢٠، ص ١٩٨.

(٦) عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٣٣.

يبقى أن المؤلف كان مصيبًا في نقده البناء على تأويل محمد عبده من أن الجدري والحصبة التي أصيب بها جيش الفيلة إنما نقلتها البعوض أو الذباب وهذا ما تأوله قائلًا: "فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه..."(١).

٤- في سبيل دراسة متحررة لا متحللة:

تأتي هذه الفقرة بالتزامن مع الفقرات الثلاثة الآنفة الذكر، فالمؤلف بعد أن ناقش في الفقرة السابقة الاتجاهات المنحرفة والواهية في تفسير وتأويل القرآن الكريم بدأ بوضع اللبان الأولى في دراسة متحررة توافق المنهج الذي كان عليه السلف الصالح، وتوافق العقل والعلم ومواكبة التطور

العلمي المطابق للآيات الكونية في القرآن الكريم، وفيما يأتي الأهداف المرجوة لهذه الفقرة:

أ- الآيات الكونية في القرآن.

ب- نظر تفصيلي في عموم الجزئيات.

ج- الراسخون في العلم.

ح- الرازي ومحاولاته في فهم الآيات الكونية"(٢).

يناقش المؤلف في هذه الفقرة الآيات الكونية في القرآن الكريم، وكيف أوصل القرآن هذه الآيات وربطها بالعقل البشري، جاعلًا وسيلة فهمها والوقوف على مرادها ومراميها: "لأن الله تعالى أمد الإنسان بسلطان العقل، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، ودعاه إلى كشف أسرار الوجود ببذل أقصى الطاقة البشرية التي أودعها الله فيه، ليعرف جلال الله تعالى في عظمة ملكه، وعظيم قدرته في اتقان خلقه..."(٣).

ويستشهد المؤلف على بعض الآيات الكونية التي تظهر مدى إتقان الصانع الحكيم لصنعته، وقد استشهد بسورة يونس عند قوله ﷻ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[يونس:٣]، فهذه الآية أجملت الظواهر الكونية وفي موضع

(١) محمد عبده، الأعمال الكاملة (٥ ج)، تحـ: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط ١، ١٩٩٣، جـ ٥، ص ٥٠٥؛ وعرجون، المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) عرجون، المرجع نفسه، ص ٤٣.

(٣) الفَخْر الرَّازِي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م)، الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، وكان يحسن الفارسية، من تصانيفه: "مفاتيح الغيب" ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و "لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات"، و "معالم أصول الدين"، ينظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٧ ج)، تحـ: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط ٤، ١٩٧١م، جـ ٤، ص ٢٤٨-٢٥٠؛ والزركلي، الأعلام، جـ ٦، ص ٣١٣.

آخر جاء التفصيل هداية واستدلالًا فقد قال ﷻ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[يونس:٥]، ويذكر المؤلف المفسر الرازي ضمن حكماء الإسلام وعلمائه الذين: "لم يغفلوا النظر عند دراستهم الآيات القرآنية الكونية باعتبارها دلائل أقامها الله تعالى على وجوده وباهر قدرته وجلال كبريائه، بل خاضوا بحارها، بقدر ما وسعه علمهم ومعارفهم، ووسائل الفكر والمعرفة في عصورهم"(١).

ومما جاء في تأويل الرازي في تفسيره لهذه الآية الكونية من سورة يونس قوله: "الاستدلال بأحوال الشمس والقمر على وجود الصانع المقدر هو أن يقال: الأجسام في ذواتها متماثلة، وفي ماهياتها متساوية، ومتى كان الأمر كذلك كان اختصاص جسم الشمس بضوئه الباهر وشعاعه القاهر، واختصاص جسم القمر بنوره المخصوص لأجل الفاعل الحكيم المختار، أما بيان أن الأجسام متماثلة في ذواتها وماهياتها، فالدليل عليه أن الأجسام لا شك أنها متساوية في الحجمية والتحيز والجرمية، فلو خالف بعضها بعضا لكانت تلك المخالفة في أمر وراء الحجمية والجرمية ضرورة أن ما به المخالفة غير ما به المشاركة، وإذا كان كذلك فنقول إن ما به حصلت المخالفة من الأجسام إما أن يكون صفة لها أو موصوفا بها أو لا صفة لها ولا موصوفا بها والكل باطل"(٢).

وقد عقب المؤلف على كلام الرازي هذا بقوله: "وتقريب كلام الرازي وأسلوبه الإصلاحي لأذهان عصرنا أن المادة في حقيقتها الأولى واحدة في ذاتها وخصائصها فإذا عرض لبعض جزيئاتها اختصاص بطبيعة خاصة، تقبل بسببها بعض اللوازم والعوارض والأوصاف وتختص بها كاختصاص الشمس بالضوء واختصاص القمر بالنور كان ذلك بقوة قادر مختار، يعطي لخلقه ما يشاء من الخصائص الدالة على إطلاق مشيئته، وهذا هو الغرض الأصيل الذي سيقت الآية لإثباته وتحقيقه"(٣).

وختم المؤلف فقرته هذه وصولًا إلى هدف مقتضاه أن الراسخين في العلم من المؤمنين تزيدهم النظريات العلمية في الحقائق الكونية والظواهر الطبيعية إيمانًا بالله ﷻ وعظمة هذا الخلاق العليم"(٤).

٥- الدستور الموجه:

يعود المؤلف في هذه الفقرة من كتابه نحو المنهج الذي قرره أهل الفن من علماء التفسير والتأويل، من ضرورة التحرر وإيقاظ العقول من عبادة غير الله ﷻ ، ويواصل نقده لبعض التفاسير وكما تأتي أهم أهداف فقرته هذه:

(١) عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٥٧.

(٢) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م)، مفاتيح الغيب (٣٢ ج)، د.تحـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ جـ ١٧، ص ٢٠٧.

(٣) عرجون، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٤) عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٥٧.

أ- إيقاظ العقول للتحرر من العبودية لغير الله.

ب- سنة التدافع بين البشر في آيتين.

ت- نقد لتفسير الطبري والقرطبي.

يهدف المؤلف خلال هذه الفقرة إلى ترسيخ فكرة أن القرآن الكريم هو دستور الإسلام والمسلمين، وما جاء في طياته إنما يوجه العقل الإنساني إلى النظر في ملكوت الله ﷻ واكتشاف أسرار الآيات الكونية، ثم ينتقل المؤلف إلى سنن التدافع في المجتمع البشري، أفرادًا وجماعات أممًا وشعوبًا، دولًا وحكومات(١).

والآيات القرآنية الكريمة التي نصت على سنن التدافع بين أهل الخير والشر والحق والباطل إنما هي آيتان لا أكثر، أَثْرَت بتفصيلها وأغنت المجتمع ببيانها:

فتقديم الآية التي في سورة الحج على الأخرى التي في سورة البقرة مع تتقدم الأخيرة بالتسلسل عليها؛ لما فيها من تفصيل أكثر وكما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠-٤١] فسياق هذه الآية الكريمة يدل على أن الله ﷻ قد أذن للمؤمنين بقتال الظالمين، وأن هذا القتال هو سنة كونية تقام به الحياة وتصان به العمران.

وقد اتشهد المؤلف برأيين في هذه الآية الكريمة لمفسرين جليلين أحدهما من أئمة السلف وهو الطبري والثاني من أئمة الخلف وهو القرطبي، وبين أن المفسرَين قد خلطا بين آية الحج والبقرة، وابتدأ بقول القرطبي أولًا: "(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع"(٢)، وعقب المؤلف على هذا القول بأن: "هذا المعنى المحكم هو عينه المعنى الذي جاءت به الآية الثانية في سورة البقرة بلفظ النص سواء، قال الله ﷻ: ﴿...وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ

(١) عرجون، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٢، ص ٧٠.

ٱلْأَرْضُ ...﴾[البقرة:٢٥١] وكما جاءت آية الحج عقيب إذن الله تعالى للمؤمنين في قتال الكفرة الظالمين، فكانت مؤكدة لشرعية القتال لدفع الظلم وتأمين الحياة في أقدس مظاهرها جاءت آية البقرة عقيب قصة طالوت..."(١).

فدلت الهداية القرآنية على ظهر أهل الإيمان على أهل الكفر؛ وفي هذا يتحقق ميزان العدالة والإنصاف في كل زمان ومكان، وهذا المراد من معنى "دفع الله".

ويلاحظ الباحث أيضًا النقد الإيجابي للمؤلف تجاه تفسير القرطبي لآية المدافعة بعد أن أورد قوله: " ومن العجيب ما وقع في تفسير آية المدافعة – وهذا نسقها وجوها– لكثير من جهابذة المفسرين وفي طليعتهم شيخهم الإمام أبو جعفر الطبري: "من أن المعنى أن الله تعالى يدفع عن بعض الناس وهم الكفرة والمنافقون وأهل الفجور، تعجيل العقوبة، ببعض آخر، وهم أهل الإيمان واليقين والصلاح ..."(٢).

وخلال تتبع هذا الاقتباس يجد الباحث أن المؤلف ينقل في كثير من الأحيان كلامًا بالمعنى، وقد يكون الكلام المقتبس غير دقيق على مراد المصدر أو المرجع الذي أخذ منه المؤلف، وما ذكره الطبري في تفسيره قوله: "يعني تعالى ذكره بذلك: ولولا أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضا، وهم أهل المعصية لله والشرك به– كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له، وقد أعطاهم ما سألوا ربهم ابتداء..."(٣).

٦– ضرورة غربلة كتب التفسير:

وينهي المؤلف كتابه بنهاية موفقة عبر أربعة أهداف يظهر الجهود الجبارة للمفسرين القدامى، والسعي الحثيث للمفسرين المحدثين أن يحذوا حذوهم لأن على عاتقهم العبء الكبير في الحفاظ على هذا الإرث العظيم، وكما يأتي بيان هذه الأهداف:

أ– المفسرون القدامى بذلوا جهودًا مشكورة.

ب– الواجب الكبير الملقى على عاتقنا.

ت– مجمع قرآني.

ث– منهجان للتفسير(٤).

يختم المؤلف كتابه بتوجيه علماء الأمة عنايتهم بغربلة كتب التفسير، وتخليصها من شوائب الدخيل والأحاديث الواهية والإسرائيليات، ومن ثم طبع هذا التفسير الناصع البياض وإخراجه للناس، على أن علماء السلف قد سهروا الليالي الطوال في

(١) عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٧٤–٧٥.

(٢) عرجون، المرجع السابق، ص ٧٦.

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جـ ٥، ص ٣٧٢.

(٤) عرجون، نحو المرجع نفسه، ص ٨٥.

التأليف والتنقيح و لم يأل أحدهم في خدمة الإسلام، ومهما يكن في كتبهم من غث أو سمين فمن أصاب منهم فله أجران ومن لم يصب فله أجر اجتهاده(١).

ويلاحظ الباحث خلال السطور الأخرة للمؤلف دعوته إنشاء مجمع قرآني يعنى بالتفسير، هذا المجمع ينهض بالمسلمين من خلال منهجين هما:

المنهج الأول: وضع تفسير يوضح الهداية القرآنية يدرس في المدارس والمعهد والجامعات، بأسلوب محكم وعلى هداية السلف الصالح.

المنهج الثاني: يقصد إلى وضع تفسير للقرآن تبين الهداية الإلاهية التي أودعها الله ﷻ في القرآن الكريم، على أن تستوعب الطاقات البشرية الوصول إليه(٢).

المطلب الثاني: مواقف المؤلف تجاه مناهج المفسرين

يأتي هذا المطلب ليختص منهجية المؤلف عند إعداده بحثه، ليجد الباحث حيادية المؤلف عند الكتابة، وموضوعيته خلال طرحه الفكرة وإيجاده العلاج؛ كون البحث يتطلب فكرة وعلاجًا لهذه الفكرة، وأدناه بيان تقييم المؤلف:

أولًا: حياديته:

يتمتع المؤلف بحيادية عند طرحه فقرات كتابه، و لم يسجل في حقه بعض الأساليب التي يتبعها بعض الباحثين والكتاب من ميول ونزعات، إذ أن البعض يحاول بميوله ونزعاته الخروج عن العلمية والمنهجية، فالمؤلف عمل جهده في كتابه بما يوافق منهج البحث العلمي عند أهل الصناعة والفن، وهذه الحيادية واضحة من خلال استشهاده بنصوص اقتبسها من بعض المتأخرين وآخرين من المتقدمين، على أنه أخذ أنصف الجيلين في انتقاداته لهم.

ثانيًا: موضوعيته:

يظهر من خلال اختيار المؤلف عنوان كتابه أنه موضوعي في طرحه للفكرة التي أرادها؛ وهذا ما يلاحظ عند وضعه الفقرات المناسبة التي تؤيد تلك الفكرة التي وضعها، والجدير بالذكر أن المؤلف لم يخرج عن دوره كباحث يريد وضع علاج لمشكلة ما وفي مفصل من المفاصل، وقد سجل له إيجابيات كثيرة خلال تحليله لتفسير يختص حالة اجتماعية أو ظاهرة كونية، ودقة ذلك التحليل من غير غلو ولا تسهيل في طرحه للمنهج السلف والخلف على السواء.

(١) ينظر: عرجون، المرجع نفسه، ص ٨٧-٨٨.

(٢) ينظر: عرجون، نحو منهج لتفسير القرآن، ص ٩١-٩٢.

الخاتمة

الحمد الله الذي أتم نعمته أن بلغ البحث خاتمته، إذ هي نتاج ما كتب الباحث من جهد خلال بحثه، وجاءت الكتابة هذه تبعًا لما نال الباحث من دراسة في المرحلة التي تلقى فيها أساليب كتابة البحث، والمنهجية التي يسير عليها أثناء الكتابة وحتى منتهاها.

وقد قيد الباحث بحثه بالعنوان الموسوم "نحو منهج لتفسير القرآن" لمؤلف له باع في هذا المجال، والذي وقع في منهج التفسير ومناهج المفسرين، و لم يقصد الباحث استيعاب جميعها، فما لا يدرك كله لا يترك جله، رجاء أن يستفيد منها القارئ المتطلع، وتوصل الباحث في خاتمة بحثه إلى استخلاص النتائج والتوصيات؛ ليضفي بين طيات البحث جمال المنهج الذي اتبعه علماء السلف والخلف في تفسير القرآن الكريم، ويمكن ذكر النتائج والتوصيات وكما يأتي:

أولًا: النتائج:

١ – أظهر هذا البحث مفهوم منهج التفسير، وبرز جوانب من جهود المؤلفين ومكانتهم العلمية، خصوصًا المؤلف، وبينّ منزلته العلمية.

٢ – إن منهج التفسير بوجه خاص، ومناهج المفسرين بوجه عام لم يسلم من التحريف، والمتمثل بالأفكار المنحرفة والأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات.

٣ – إن عدم اتباع المؤلف سلوك مهج البحث العلمي في كتابه لا يعني أبدًا ضعف علمية المؤلف، ولا يؤثر على قيمة الكتاب، فبالتالي تبقى الجهود مباركة ومصانة.

٤ – وجوب معرفة دراسة مناهج التفسير والمفسرين في كتب التفسير وغيرها، والعمل على تخليصها من شوائب الأفكار والأقوال الواهية فيها، على أن أهم ما يجب أن تحذر منه الأمة الإسلامية اليوم، فالجميع بحاجة ملحة إلى تخليص تفسير كتاب الله ﷻ من آثاره، حتى يملأ الفكر والعقل كل ما هو صحيح من أدلة الشريعة الغراء.

ثانيًا– التوصيات:

١ – لا يسع البحث وما قدمه الباحث في هذين المبحثين استئصال الكم الهائل من الأقوال الواهية في كتب التفسير، بما فيها مناهج التفسير والمفسرين، بل يجب التوسع في هذا التنقيح والنقد؛ ابتغاء تأصيل العلوم الشرعية بحسب أصوله ومنهجه الرصين.

٢ – استمرار أقسام التفسير في الجامعات المعاهد بتكثيف الدراسة، وطلب بحوث ومقالات وتقارير دورية تستأصل هذا الدخيل، وتشخصه في كتب التفسير، وتوقي ضرره، حيث يعمم في المنتديات العلمية.

٣ – وجوب سلوك الطريق العلمي والمنهجي في تخلية كتب التفسير، ومصادر الشريعة الغراء مما شابت به من الوهن والزيغ.

٤ – العمل على إعادة طبع مناهج التفسير والمفسرين بعد تنقيحها ونقدها من الأفكار المنحرفة.

٥- الحاجة إلى باحث يتتبع مقالات المؤلف في مجلة الأزهر وإنتاجه الذي جرت حوله بعض المعارك الأدبية العلمية ودراسة موقفه من بعض الشخصيات الإسلامية وغيرها، حيث بدأ المؤلف الكتابة منذ عام (١٣٥٨هـ /١٩٣٩م) بمجلة الأزهر، وإبراز هذا النتاج العلمي مع تحليله واستخراج القواعد الفكرية التي وضعها المؤلف.

فهرس المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

١- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٧ ج)، تحـ: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط ٤، ١٩٧١م.

٢- الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٥ ج)، تحـ: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م.

٣- الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء (٢٥ ج)، تحـ : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ ، ١٩٨٥م.

٤- الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، الأعلام (٨ ج)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.

٥- الزمخشري، محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

٦- السامرائي، فاروق السامرائي، المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية (١ ج)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط ١، ١٩٩٦م.

٧- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤ ج)، تحـ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠ م.

٨- عرجون، محمد الصادق إبراهيم (ت ١٤٠٠ هـ – ١٩٨١ م)، نحو منهج لتفسير القرآن (١ ج)، د.تحـ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٩٧٩م.

٩- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، مفاتيح الغيب (٣٢ ج)، د.تحـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.

١٠- القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٨٤م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٤ ج)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢ م.

١١- القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠ ج)، تحـ: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤ م.

١٢- محمد عبده، الأعمال الكاملة (٥ ج)، تحـ: محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

١٣- https://www.draligomaa.com/index .

١٤- https://ar.wikipedia.org/wiki.

١٥- https://www.goodreads.com/author/show .

١٦- https://ar.wikipedia.org/wiki/.

١٧- https://arz.wikipedia.org/wiki.

تم البحث والحمد لله ﷻ